وهو قوله تعالى: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» فالجواب
أن يقال: في لفظة «والأرحام» قراءتان: إحداهما بالنصب والأخرى بالجر. أما قراءة النصب
فهي المشهورة الصحيحة الموجودة في المصاحف، الموافقة للأسلوب الجيد المعروف من كلام العرب، وهو عطف
على لفظ الجلالة والتقدير: «واتقوا الله واتقوا الأرحام» على معنى اتقوا قطيعتها، أو يكون
معنى اتقائها المحافظة عليها وعلى حقوقها والقيام بما يجب أداؤه لأصحابها من البر والعطف و
والإحسان. وهذه الآية شبيهة على هذا المعنى وعلى هذه القراءة بالآيات الأخرى التي تقرن الأمر
بعبادة الله بالأمر بالإحسان إلى ذوي القربى كقوله: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين
إحساناً وبذي القربى»، وقوله: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» إلى آيات أخرى
كثيرة معروفة. وعلى هذه القراءة فالآية ليست في محل الخلاف والنزاع لأن التساؤل فيها بالله وحده
دون الأرحام ودون غيرها. وحجة المخالفين في الآية قائمة على أن التساؤل بالله وبالأرحام. وأما القراءة
الأخرى وهي قراءة الجر فهي قراءة شاذة مهجورة نقلاً ضعيفة لغةً ونحواً غريبة معنىً: أما من
جهة النقل فلأنها ليست المتواترة المثبتة في المصاحف وإنما قرأها بعض القراء شذوذاً فلا يعول
عليها بالنسبة للقراءة المتواترة. وأما من جهة اللغة والنحو فضعيفة لأنها مخالفة للقاعدة
النحوية اللغوية المشهورة وهي أنه لا يصح في الكلام الجيد المختار العطف على الضمير المجرور إلا
بإعادة ~~حرف~~ الجار فلا يقال في الكلام الجيد: مررت بك وزيد أو مررت به وعمرو وإنما
يحسن بإعادة الجار بأن تقول مررت بك وبزيد وبه وبعمرو ولا يجيء ما يخالف هذا إلا
في ضرورات الشعر. أما قوله تعالى: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام» فليست كلمة المسجد الحرام عطفاً على «به» وإنما هي
على «سبيل» والمعنى يدل على هذا لأن المشركين كانوا الصادين عن سبيل الله والصادين عن المسجد
الحرام وما كانوا يكفرون بالمسجد الحرام كما هو معلوم معروف ولو كانت كلمة المسجد الحرام معطوفة على كلمة
«به» لكان المعنى أن المشركين يكفرون بالمسجد الحرام وهو لا يصح. فقراءة كلمة «الأرحام» بالجر عطفاً
على لفظة «به» ضعيفة لغة ونحواً وكتاب الله لا يذهب به المذاهب الضعيفة التي لا تجيء إلا في
الضرورة الشعرية. وأما ما فيه من غرابة المعنى فلأنه لم يعرف أن القوم كانوا يتساءلون بالأرحام
وإنما قال ذلك من قاله في تفسير الآية ظناً منه أن الآية تنازع لما زعم. وها هنا شيء واضح قوي في
إضعاف هذه القراءة - قراءة الجر. هذا الشيء هو أن المعطوف على الصلة صلة فإذا قلت: جاء الذي
صلى وصام كانت كلمتا صلى وصام كلتاهما صلة للذي. فإذا حذفت المعطوف عليه وقلت
جاء الذي صام صح الكلام وكذلك الحكم إذا عملت في أحد الصلة. والعطف عطف النسق على نية
تكرار العامل فإذا قلت جاء خالد وفلان لكان المعنى جاء خالد وجاء فلان. وعلى هذا فقوله تعالى
«والأرحام» بالجر على تقدير «الذي تساءلون به وتساءلون بالأرحام»، وجملة تساءلون بالأرحام
عطف على جملة تساءلون به، والجملتان صلة «الذي» و«الذي» صفة للفظة الجلالة «الله»
ولكن جملة «تساءلون بالأرحام» المقدرة لا يصح أن تكون صلة «للذي» في الآية فلا يصح أن تكون عطفاً على
صلته لأن المعطوف على الصلة صلة كما ذكر. ولا يصح أن تكون صلة لأنه لا يصح أن يقال: «فاتقوا
الله الذي تساءلون بالأرحام» كما لا يصح جاء الذي ضرب زيد عمراً وأمثاله لأنه لا رابط بين
الموصول والصلة والصلة ~~بالموصول~~ لا تخلو من عائد يربطها بالموصول كأن تقول جاء الذي
قام أو جاء الذي قام أبوه فإن الرابط في ~~المثال~~ الأول ضمير مستتر يعود على الذي والرابط
في الجملة الثانية الضمير الموجود في «أبوه». ولهذا لا يجوز في الكلام أن تقول جاء الذي مررت به
وبزيد إلا بتقدير وتأويل بأن تقدر مثلاً كلمة «معه» بعد «زيد»، لأنه لا يجوز
أن تقول جاء الذي مررت بزيد ولكنه يجوز إذا جئت بكلمة معه فقلت جاء الذي مررت
بزيد معه لوجود الرابط بين الصلة والموصول. فإن قيل: إذا جاز جاء الذي مررت به وبزيد